



في رهاب أهل البيت عليهم السلام

(١٥)

**جزئية البسملة من القرآن
وحكمها في الصلاة**



اسم الكتاب: جزئية البسمة من القرآن وحكمها في الصلاة

المؤلف: لجنة البحوث

الموضوع: فقه، علوم القرآن

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ١٠٠٠٠

ISBN: 964-8686-55-6

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليه السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعتبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت عليه السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى

أهل البيت عليه السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر. إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة. وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استشارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل. ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية

جزئية البسملة من القرآن وحكمها في الصلاة

من جملة ما ظهر الخلاف فيه بين المذاهب الإسلامية مسألة البسملة، هل هي آية من سورة الحمد؟ أو من كل سورة؟ أم أنها ليست بآية لا من الحمد ولا من باقي السور؟ وتبعاً لذلك ظهر الخلاف في حكمها في الصلاة أثناء أداء القراءة، كما ظهر الخلاف في كيفية قراءتها، هل تقرأ جهراً أم إخفاً؟ وقد تكفل هذا البحث باستبيان الحقيقة في هذه المسألة والفروع المتعلقة بها اعتماداً على مصادر المذاهب الأربعة بالدرجة الأولى. ولعل أهم نتيجة ستطرق ذهن القارئ هي ما كشفت عنه الحقائق التاريخية من أن منشأ الخلاف في هذه المسألة لا علاقة له بالصحابة ولا بالفقه والاجتهاد والمذاهب، وإنما هي أحداث شاء معاوية أن يحدثها في شريعة المسلمين وعباداتهم خلافاً لسيرة النبي ﷺ وعمل الصحابة، وكان من شأن السياسة أن تؤثر في المذاهب، فتجد هذه الأحداث من يمنحها توجيهاً، ويلتمس لها دليلاً، وينتحل لها نوعاً من المقبولية^(١).

(١) البحث مستفاد بنحو أساسي من كتاب البيان في تفسير القرآن لآية الله

البسملة آية من كل سورة

اتفقت الشيعة الإمامية على أن البسملة آية من كل سورة بُدئت بها، وذهب إليه ابن عباس، وابن المبارك، وأهل مكة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم، والكسائي، وغيرهما سوى حمزة. وذهب إليه أيضاً غالب أصحاب الشافعي^(١) وجزم به قراء مكة والكوفة^(٢)، وحكي هذا القول عن ابن عمر، وابن الزبير وأبي هريرة، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد القاسم ابن سلام^(٣). وعن البيهقي نقل هذا القول عن الثوري ومحمد بن كعب^(٤)، واختاره الرازي في تفسيره ونسبه إلى قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز، وإلى ابن المبارك والثوري، واختاره أيضاً جلال الدين السيوطي مدّعياً تواتر الروايات الدالة عليه معني^(٥).

→ السيد الخوئي: ٤٣٨ - ٤٤٨، وكتاب القرآن الكريم وروايات المدرستين للعلامة السيد مرتضى العسكري ٢: ٣٧ - ٦٧.

(١) تفسير الآلوسي ١: ٣٩.

(٢) تفسير الشوكاني ١: ٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١: ١٦.

(٤) تفسير الخازن ١: ١٣.

(٥) الاتقان، النوع: ٢٢ - ٢٧ ج ١ ص ٢٧٠.

وقال بعض الشافعية وحمزة: «إنها آية من فاتحة الكتاب خاصة دون غيرها» ونسب ذلك إلى أحمد بن حنبل، كما نسب إليه القول الأول^(١).

وذهب جماعة: منهم مالك، وأبو عمرو، ويعقوب إلى أنها آية فذة وليست جزء من فاتحة الكتاب ولا من غيرها، وقد انزلت لبيان رؤوس السور تيمناً، وللفصل بين السورتين، وهو مشهور بين الحنفية^(٢).

غير أن أكثر الحنفية ذهبوا إلى وجوب قراءتها في الصلاة قبل الفاتحة وذكر الزاهدي عن المجتبى أن وجوب القراءة في كل ركعة هي الرواية الصحيحة عن أبي حنيفة^(٣). وأما مالك فقد ذهب إلى كراهة قراءتها في نفسها، واستحبها لأجل الخروج من الخلاف^(٤).

وفي هذه المسألة أقوال أخر شاذة لا فائدة في التعرض لها، ولكن المهم بيان الدليل على المذهب الحق ويقع ذلك في عدة أمور:

(١) تفسير الآلوسي ١: ٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٢٥٧.

أدلة جزئية البسملة للقرآن

١- أحاديث أهل البيت عليهم السلام

وهي الروايات الصحيحة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام الصريحة في ذلك^(١) وبها الكفاية عن تجشم أي دليل آخر بعد أن جعلهم النبي صلى الله عليه وآله عدلاً للقرآن في وجوب التمسك بهم والرجوع اليهم^(٢).

ألف - عن معاوية بن عمار قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام إذا قمت للصلاة اقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» في فاتحة القرآن؟ قال: نعم. قلت: فإذا قرأت فاتحة القرآن اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة؟ قال: نعم»^(٣).

ب - عن يحيى ابن أبي عمران الهمداني قال:

كتبت الى أبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما تقول في رجل

(١) وللإطلاع على الروايات المذكورة يراجع فروع الكافي باب قراءة القرآن: ٨٦، والاستبصار باب الجهر بالبسملة ١: ٣١١، والتهذيب - باب كيفية الصلاة وصفتها ١: ١٥٣، ٢١٨، ووسائل الشيعة باب أن البسملة آية من الفاتحة ١: ٣٥٢.

(٢) تقدم بعض مصادر هذا البحث في الصفحة: ١٨، ٣٩٨ من كتاب البيان في تفسير القرآن لآية الله السيد الخوئي.

(٣) الكافي ٣: ٣١٢ ط دار الكتب الإسلامية.

ابتداءً بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في صلاته وحده في أم الكتاب، فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها؟ فقال العباسي: ليس بذلك بأس، فكتب بخطه: «يعيدها - مرتين - على رغم أنفه»، يعني العباسي^(١).

ج - وفي صحيحة ابن أبي أذينة:

«... فلما فرغ من التكبير والافتتاح أوحى الله إليه سم باسمي، فمن أجل ذلك جعل «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول السورة، ثم أوحى الله إليه أن أحمدي فلما قال: الحمد لله رب العالمين، قال النبي ﷺ في نفسه شكراً، فأوحى الله عز وجل إليه قطعت حمدي فسم باسمي، فمن أجل ذلك جعل في الحمد: الرحمن الرحيم مرتين، فلما بلغ ولا الضالين قال النبي ﷺ: الحمد لله رب العالمين، شكراً، فأوحى الله إليه: قطعت ذكرى فسم باسمي، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة، ثم أوحى الله عز وجل إليه: اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد*^(٢).

(١) المصدر السابق: ٣١٣.

(٢) الكافي ٣: ٤٨٥.

٢- أحاديث أهل السنة:

وقد دلت على ذلك أيضاً روايات كثيرة من طرق أهل السنة نذكر جملة منها:
ألف- ما رواه أنس قال:

بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آناً سورة» فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر...﴾^(١).

ب- ما أخرجه الدارقطني بسند صحيح عن علي بن أبي طالب: أنه سئل عن السبع المثاني، فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، فقليل له: إنما هي ست آيات؟! فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم آية»^(٢).

ج- ما أخرجه الدارقطني أيضاً بسند صحيح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأتم الحمد فاقروا بسم الله

(١) صحيح مسلم باب حجة من قال: البسملة آية ١٢:٢، وسنن النسائي باب

قراءة البسملة ١٤٣:١، وسنن أبي داود باب الجهر بالبسملة ١٢٥:١.

(٢) الاتقان، النوع ٢٢- ٢٧ ج ١ ص ١٣٦، ورواهما البيهقي في سننه باب

الدليل على أن البسملة آية تامة ٤٥:٢.

الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني. وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها»^(١).

د- ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال:

«السبع المثاني فاتحة الكتاب. قيل: فأين السابعة؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢).

هـ- ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم»^(٣).

و- ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت»^(٤).

(١) الاتقان، النوع ٢٢- ٢٧ ج ١ ص ١٣٦، ورواهما البيهقي في سننه باب الدليل على أن البسملة آية تامة ٤٥:٢.

(٢) المصدر السابق، ورواه الحاكم في المستدرک ٥٥١:١.

(٣) المصدر السابق: ١٣٥، ورواه البيهقي في سننه باب افتتاح القراءة في الصلاة ٥٠:٢.

(٤) مستدرک الحاكم ٢٣٢:١ قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين.

ز - ما رواه سعيد عن ابن عباس:

«إن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبرائيل فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أن ذلك سورة»^(١).

ح - ما رواه ابن جريج قال:

«أخبرني أبي أن سعيد بن جبير أخبره، قال: ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال: هي أم القرآن، قال أبي: وقرأ عليّ سعيد بن جبير بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة. قال سعيد بن جبير: وقرأها عليّ ابن عباس كما قرأتها عليك، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة. قال ابن عباس: فأخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم»^(٢).

ط - عن عبد الله بن عباس قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية^(٣).

ي - عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقد ترك آية من كتاب الله»^(٤).
ك - عن ابن عمر، قال: نزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) مستدرک الحاكم ١: ٢٣١.

(٢) مستدرک الحاكم، فضائل القرآن: ٥٥٠.

(٣) الدر المنثور ١: ٧، عن ابن الضريس.

(٤) الدر المنثور ١: ٧ عن الثعلبي.

في كل سورة^(١).

ل - عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة - وفي لفظ - خاتمة السورة حتى ينزل عليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. زاد البزار والطبراني: فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى^(٢).

م - في رواية ابن مسعود: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ن - قال سعيد بن جبیر: في عهد النبي ﷺ كانوا لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فإذا نزلت علموا أن قد انقضت السورة ونزلت أخرى^(٣).

(١) الدر المنثور ٧:١، عن الواحدي.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من جهر بها ٢٠٩:١؛ وسنن البيهقي ٤٣:٢؛ ومستدرک الحاكم ٢٣٢:١، وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: أما هذا فتأبّت؛ وراجع مجمع الزوائد للهيثمى ٣١٠:٦؛ وفي الدر المنثور ٧:١، عن الطبراني والبيهقي.

(٣) رواية ابن مسعود في الدر المنثور ٧:١، عن البيهقي في شعب الإيمان. والواحدي وخبر سعيد بن جبیر فيه عن أبي عبيد ومصنف عبد الرزاق ٩٢:٢.

س- عن ابن عباس قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام، لم لم تُكتب في براءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟ قال: لأن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أمان، وبراءة نزلت بالسيف^(١).
وليس بإزاء هذه الروايات إلا روايتان دلّتا على عدم جزئية البسملة للسورة:

إحدهما: رواية قتادة عن أنس بن مالك، قال: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).
ثانيتهما: ما رواه ابن عبد الله بن مغفل يزيد بن عبد الله، قال:

«سمعتني أبي وأنا أقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: أي بني! إياك - قال: ولم أرَ من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه حدثاً في الإسلام منه - فإني قد صليت مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر، ومع عثمان فلم أسمع أحداً

(١) الدر المنثور بتفسير سورة التوبة أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٧٧، ٢٧٣، ٢٧٨. وصحيح مسلم باب حجة من لا يجهر بالبسملة ٢: ١٢، وسنن النسائي باب ترك الجهر بالبسملة ١: ١٤٤. وروى قريباً منه عن عبد الله بن مغفل.

منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت قرأت فقل: الحمد لله رب العالمين»^(١).

والجواب عن الرواية الأولى:

- مضافاً إلى مخالفتها للروايات المأثورة عن رسول الله ﷺ وأهل البيت عليه السلام - أنها لا يمكن الاعتماد عليها من وجوه:

الوجه الأول: معارضتها بالروايات المتواترة معني، المنقولة عن طريق أهل السنة، ولا سيما أن جملة منها صحاح الأسانيد، فكيف يمكن تصديق هذه الرواية؟ مع شهادة ابن عباس، وأبي هريرة، وأم سلمة على أن رسول الله كان يقرأ البسملة ويعدها آية من الفاتحة، وأن ابن عمر كان يقول: «لَمْ كُتِبَتْ إِنْ لَمْ تُقْرَأْ!» وإن علياً عليه السلام كان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص» وكان يقول: «هي تمام السبع المثاني».

الوجه الثاني: مخالفتها لما اشتهر بين المسلمين من قراءتها في الصلاة، حتى أن معاوية تركها في صلاته في يوم

(١) مسند أحمد ٨٥:٤، ورواه الترمذي باختلاف يسير في باب ما جاء في ترك الجهر بالبسملة ٤٣:٢.

من أيام خلافته، فقال له المسلمون: «أسرقت أم نسيت؟». ومع هذا كيف يمكن التصديق بأن رسول الله ﷺ ومن بعده لم يقرأوها؟!.

الوجه الثالث: مخالفتها لما استفاض نقله عن أنس نفسه: ألف - روى قتادة عن أنس: إن قراءة رسول الله ﷺ كانت مدًا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم^(١).

ب - وروى شريك عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات.

ج - وروى العسقلاني قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها، وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن أقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك: ما آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ.

(١) سنن البيهقي - باب افتتاح القراءة في الصلاة ببسم الله ٤٦:٢، والمستدرک، حديث الجهر ببسم الله ٢٣٣:١.

قال الحاكم : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات^(١).

والجواب عن الرواية الثانية:

- وهي رواية ابن عبدالله بن مغفل - يظهر مما تقدم في الجواب عن الرواية الأولى، على أنها تضمنت ما يخالف ضرورة الإسلام، فإنه لا يشك أحد من المسلمين في استحباب التسمية قبل الحمد والسورة، ولو بقصد التيمن والتبرك، لا لأن البسملة جزء^(٢) فكيف ينهى ابن مغفل عنها بدعوى أنها حدث في الإسلام؟!.

٣ - سيرة المسلمين:

لقد استقرت سيرة المسلمين على قراءة البسملة في أوائل السور غير سورة براءة، وثبت بالتواتر أن رسول الله ﷺ كان يقرأها، ولو لم تكن من القرآن للزم على الرسول الأكرم ﷺ أن يصرح بذلك، فإن قراءته - وهو في مقام البيان - ظاهرة في أن جميع ما يقرأ قرآن، ولو لم يكن بعض ما يقرأ قرآنًا ثم لم يصرح بذلك لكان ذلك منه إغراء منه بالجهل وهو قبيح، وفي ما يرجع الى الوحي الإلهي أشد قبحاً،

(١) المستدرک ١: ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) التفسير الكبير ١: ٢٠٩.

ولو صرح الرسول ﷺ بذلك لنقل إلينا بالتواتر مع أنه لم ينقل حتى بالآحاد.

٤ - مصاحف التابعين والصحابة

مما لا ريب فيه أن مصاحف التابعين والصحابة - قبل جمع عثمان وبعده - كانت مشتملة على البسمة، ولو لم تكن من القرآن لما أثبتوها في مصاحفهم، فإن الصحابة منعت أن يدرج في المصحف ما ليس من القرآن، حتى أن بعض المتقدمين منعوا عن تنقيط المصحف وتشكيله. فإثبات البسمة في مصاحفهم شهادة منهم بأنها من القرآن كسائر الآيات المتكررة فيه.

وما ذكرناه يبطل احتمال أن إثباتهم إياها كان للفصل بين السور. ويبطل هذه الدعوى أيضاً إثبات البسمة في سورة الفاتحة، وعدم إثباتها في أول سورة براءة. ولو كانت للفصل بين السور، لأثبتت في الثانية، ولم تثبت في الأولى. وذلك يدلنا قطعاً على أن البسمة آية منزلة في الفاتحة دون سورة براءة.

تواتر القول بجزئية البسملة من السورة في مدرسة الخلفاء قال الرازي: إنَّ النقل المتواتر، ثابت بأن «بسم الله...» كلام أنزله الله على محمد ﷺ وبأنه مثبت في المصحف بخط القرآن^(١).

وقال: وكل ما ليس من القرآن^(٢) غير مكتوب بخط القرآن، ألا ترى أنهم منعوا من كتابة أسامي السور في المصحف ومنعوا من العلامات على الأعشار والأخماس. والغرض من ذلك كله أن يمنعوا من أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلو لم تكن التسمية من القرآن لما كتبوها بخط القرآن، ولما أجمعوا على كتبها بخط القرآن علمنا أنها من القرآن^(٣). وقال السيوطي في ردّ من أنكر تواتر جزئية البسملة من السورة:

ويكفي في تواترها إثباتها في مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف مع منعهم أن يكتب في المصحف ما ليس منه، كاسماء السور وآمين والأعشار، فلو لم تكن قرآناً

(١) تفسير الرازي ١: ١٩٥.

(٢) في النسخة (من القرآن فإنه غير مكتوب) خطأ مطبعي، والصواب ما أثبتناه.

(٣) تفسير الرازي ١: ١٩٧.

لما استجازوا إثباتها بخطّه من غير تمييز، لأنّ ذلك يحمل على اعتقادها قرآناً، فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاده ما ليس بقرآن قرآناً، وهذا ممّا لا يجوز اعتقاده في الصحابة. فإن قيل: لعلها أثبتت للفصل بين السور، أُجيب بأنّ هذا فيه تغيير ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل، ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال^(١).

وقد أفرد عدّة من العلماء كتباً في وجوب قراءة البسملة، مثل:

- ألف - كتاب البسملة لابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ).
- ب - كتاب الجهر بالبسملة للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ).
- ج - كتاب الجهر بالبسملة لأبي سعيد البوشنجي (ت: ٥٣٦ هـ).
- د - كتاب الجهر بالبسملة لجلال الدين المحلي الشافعي (ت: ٨٦٤ هـ).
- هـ - كتاب في «بسم الله الرحمن الرحيم» لعلي بن عبدالعزيز الدولابي من أصحاب الطبري المؤرخ.

(١) الاتقان للسيوطي ١: ٨٠.

و- وكتب الدارقطني (ت: ٣٨٥ هـ) جزءاً في البسملة وصحّحه^(١).

أدلة نفاة جزئية البسملة وردودها
واستدلّ القائلون بأن البسملة ليست جزءاً من السورة
بوجوه:

الوجه الأوّل:

إن طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر، فكل ما وقع
النزاع في ثبوته فهو ليس من القرآن، والبسملة مما وقع
النزاع فيها.

(١) أ- في الدرا المنثور ٧: ١، وأخرج سعيد بن منصور في سننه، وابن خزيمة -
في كتاب البسملة والبيهقي عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من
الناس... الحديث.

ب- في ترجمة الخطيب البغدادي من طبقات الشافعية للشيخ جمال
الدين عبدالرحيم بن حسن الأشنوي (ت: ٧٧٢ هـ)، ١: ٢٠١، سمي من
تصانيفه: الجهر بالبسملة.

ج- في مادة الجهر من ذيل كشف الظنون ٣٨٨: ١ (الجهر بالبسملة) لأبي
سعيد اسماعيل بن عبدالواحد البوشنجي الهروي الشافعي.

د- في مادة الجهر من كشف الظنون ٦٢٣: ١، الجهر بالبسملة لجلال
الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعي.

هـ- فهرست ابن النديم: ٢٩٩.

و- قال القرطبي بتفسير البسملة من تفسيره ٩٥: ١، روى جماعة
قرآنيها، وقد تولى الدارقطني جمع ذلك في جزء وصحّحه. وذكره
الدارقطني في سننه ٣١١: ١.

والجواب :

أولاً: إنَّ كون البسملة من القرآن مما تواتر معناه عن النبي ﷺ كما تقدم عن كثير من أهل العلم، وقد تواتر عن أهل البيت عليه السلام أيضاً ولا فرق في التواتر بين أن يكون عن النبي ﷺ وبين أن يكون عن أهل بيته الطاهرين بعد أن ثبت وجوب اتباعهم.

وثانياً: إنَّ ذهاب الأقل من الفقهاء الى عدم كون البسملة من القرآن لشبهة لا يضرّ بالتواتر، مع شهادة جمع كثير من الصحابة بكونها من القرآن، ودلالة الروايات المتواترة عليه معني.

وثالثاً: أنه قد تواتر أنَّ النبي ﷺ قرأ البسملة حينما يقرأ سورة من القرآن وهو في مقام البيان، ولم يبين أنها ليست منه، وهذا يدل دلالة قطعية على أنَّ البسملة من القرآن. نعم لا يثبت بهذا أنها جزء من السورة. ويكفي لإثباته ما تقدم من الروايات، فضلاً عما سواها من الأخبار الكثيرة المروية من الطريقتين. والجزئية تثبت بخبر الواحد الصحيح، ولا دليل على لزوم التواتر فيها أيضاً.

الوجه الثاني:

ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سألت: فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: اثنى عليّ عبدي وإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله تعالى: مجدني عبدي، وإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سألت، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي، ولعبي ما سألت»^(١).

وتقريب الاستدلال في هذه الرواية أنها تدل - بظاهرها - على أن ما بعد آية إياك نعبد وإياك نستعين يساوي ما قبلها في العدد، ولو كانت البسملة جزءاً من الفاتحة لم يستقم معنى الرواية، وذلك: لأن سورة الفاتحة - كما عرفت - سبع آيات، فإن كانت البسملة جزءاً كان ما بعد آية: إياك نعبد وإياك

(١) صحيح مسلم باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٩: ٢، وسنن أبي داود - باب من ترك القراءة في صلاته ١: ١٣٠، وسنن النسائي باب ترك قراءة البسملة في فاتحة الكتاب ١: ١٤٤.

نستعين آيتين، ومعنى ذلك إنما قبل هذه الآية ضعف ما بعدها، فالفاتحة لا تنقسم الى نصفين في العدد.

والجواب عنه:

أولاً: إنّ الرواية مروية عن العلاء، وقد اختلف فيه بالثوثيق والتضعيف^(١).

وثانياً: أنه لو تمت دلالتها، فهي معارضة بالروايات الصحيحة المتقدمة الدالة على أنّ الفاتحة سبع آيات، مع البسملة لا بدونها.

وثالثاً: أنه لا دلالة في الرواية على أن التقسيم بحسب الألفاظ، بل الظاهر أنه بحسب المعنى، فالمراد أن أجزاء الصلاة بين ما يرجع الى الرب وما يرجع الى العبد بحسب المدلول.

ورابعاً: أنه لو سلمنا أنّ التقسيم إنما هو بحسب الألفاظ فأبي دليل على أنه بحسب عدد الآيات، فلعله باعتبار الكلمات، فإن الكلمات المتقدمة على آية «إياك نعبد وإياك نستعين» والمتأخرة عنها، مع احتساب البسملة وحذف المكررات عشر كلمات.

(١) انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٨: ٣٣٥-٣٣٦.

الوجه الثالث: ما رواه أبو هريرة:

«من أن سورة الكوثر ثلاث آيات^(١)، وأن سورة الملك ثلاثون آية»^(٢) فلو كانت البسملة جزءاً منها، لزداد عددها على ذلك.

والجواب:

إن رواية أبي هريرة في سورة الكوثر على فرض صحة سندها معارضة برواية أنس، وقد تقدمت آنفاً، وهي رواية مقبولة روتها جميع الصحاح غير موطأ مالك^(٣)، فرواية أبي هريرة مطروحة أو مؤولة بإرادة الآيات المختصة، فإن البسملة مشتركة بين جميع السور، وهذا هو جواب روايته في سورة الملك.

وجوب قراءة البسملة في الصلاة

والذي يطالع سيرة النبي ﷺ وعمل الصحابة والتابعين والجيل الأول من الفقهاء يتجلى له بوضوح لزوم

(١) لم أعثر على هذه الرواية في كتب الروايات.

(٢) مستدرک الحاكم ٥٦٥:١، وصحيح الترمذي باب ما جاء في فضل سورة الملك ٣٠:١١، وكنز العمال فضائل السور والآيات ٥١٦:١، ٥٢٥.

(٣) تيسير الوصول ١٩٩:١.

قراءة البسملة في الصلاة. وفي ذلك روايات وأخبار عديدة
نقتصر على أبرزها مثل:

ألف - عن أم سلمة قالت: إنَّ النبي ﷺ كان يقرأ ﴿بسم الله
الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم *
مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط
المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالِّين﴾^(١).

وفي رواية، سُئِلَتْ أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ،
فقلت: كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم *
الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين *
إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالِّين﴾^(٢).

(١) مستدرک الحاكم وتلخيصه ٢: ٢٣٢، ولفظه: يقرأ: (بسم الله الرحمن
الرحيم * الحمد لله رب العالمين) يقطعها حرفاً حرفاً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأيده
الذهبي في تلخيصه والفخر الرازي، أخرجها بسندين في تفسيره ١: ١٩.

(٢) مسند أحمد ٦: ٣٠٢؛ وسنن أبي داود ٤: ٣٧١، كتاب القراءات
والحروف؛ وسنن البيهقي ٢: ٤٤، وفي ٥٣ منه بإجاز.

وأضاف السيوطي في الدر المنثور ١: ٧ وقال: أخرج أبو عبيد وابن سعد في

ب - عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يفتتح صلاته بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(١).

ج - عن جابر، قال: قال لي رسول الله ﷺ كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة؟ قلت: اقرأ، الحمد لله رب العالمين، قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٢).

د - عن نافع، أنَّ ابن عمر كان إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أم القرآن وفي السورة التي تليها. ويذكر أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ^(٣).

هـ - عن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ كان إذا قرأ وهو يؤم الناس، افتتح بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قال أبو هريرة:

→ الطبقات وابن أبي شيبة وابن خزيمة وابن الأنباري في المصاحف والدارقطني والخطيب وابن عبد البر، كلاهما في كتاب المسألة عن أم سلمة... وفي آخره (بسم الله الرحمن الرحيم) آية).

(١) سنن الترمذي ٤: ٤٤، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. والدر المنثور ٨: ١، عن الدارقطني وأبي داود كتاب الصلاة، باب من جهر بها - البسملة - ح ٧٧٨، ٢٠٩: ١.

(٢) في الدر المنثور ٨: ١، عن الدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) سنن البيهقي ٢: ٤٧؛ والسيوطي ٨: ١، عن الطبراني في الأوسط والدارقطني والبيهقي واللفظ للسيوطي لإيجازه. وفي لفظ البيهقي: إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا افتتح الصلاة يبدأ ببسم الله...

هي آية من كتاب الله، اقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب فإنها الآية السابعة^(١).

و- عن قتادة، قال: سئل أنس بن مالك، كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ؟ قال: كانت مدّاً ثم قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يُمدّ: ﴿بسم الله﴾ ويمدّ ﴿الرحمن﴾ ويُمدّ ﴿الرحيم﴾^(٢).

ز- عن أبي هريرة^٢ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأتم الحمد فاقروا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني، و﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إحدى آياتها^(٣).

(١) في سنن البيهقي ٤٧:٢ وفي الدر المنثور ٣:١ نقله عن الدارقطني - أيضاً.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة ١٥٦:٣؛ وسنن البيهقي، باب افتتاح القراءة في الصلاة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) والجهر بها إذا أجهز بالفاتحة ٤٣:٢.

(٣) سنن البيهقي ٤٥:٢ وفي الدر المنثور ٣:١، قال عن الحديث الأول: أخرج الدارقطني وصحّحه، وقال عن الحديث الثاني: أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره.

ونقل الأول بإيجاز، كلّ من الرازي في تفسيره ١٩٦:١؛ والمتقي في كنز العمال، ط. الثانية ٤٩٧:١؛ والسيوطي في الإتقان ٨١:١.

وفي رواية: أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «الحمد لله رب العالمين» سبع آيات، إحداهن: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾... ويعده كالحديث السابق^(١).

ح - عن أبي هريرة قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد إذ دخل رجل يصلي، فافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال: الحمد لله رب العالمين فسمع النبي ﷺ فقال له: يا رجل قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أنَّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته^(٢).

وعلى هذا جرت أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء. ألف: قال البيهقي، عن عبد خير قال سئل علي بن النخعي عن السبع المثاني فقال: الحمد لله، فقليل له إنما هي ست آيات، فقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية^(٣).

(١) سنن البيهقي ٤٥:٢ وفي الدر المنثور ٣:١، قال عن الحديث الأول: أخرج الدارقطني وصححه، وقال عن الحديث الثاني: أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره.

ونقل الأول بإيجاز، كل من الرازي في تفسيره ١:١٩٦؛ والمتقي في كنز العمال، ط. الثانية ١:٤٩٧؛ والسيوطي في الإتقان ١:٨١.

(٢) في الدر المنثور ٧:١ قال أخرجه الثعلبي...

(٣) في سنن البيهقي ٤٥:٢؛ والدر المنثور ٣:١، قال: أخرج الدارقطني والبيهقي بسند صحيح والإتقان ١:٨١ وكنز العمال ١:١٩١.

ب - وعن عليّ، أنّه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وكان يقول: من ترك قراءتها، فقد نقص، وكان يقول هي تمام السبع المثاني^(١).
ج - وجاءت عن ابن عباس روايات متعددة في ذلك في بعضها بيان وتأكيد على البعض الآخر، نذكر موجز روايتين منها:

١ - قال: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ هي أم القرآن، وإنّه قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الآية السابعة، وقال: أخرجها - الله - لكم وما أخرجها لأحد قبلكم.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، أي: البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأيده على ذلك الذهبي^(٢).

٢ - قال: إنّ السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، وأنّه قرأها بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبعاً، فسئل الراوي هل أخبرك أنّه قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية من كتاب الله؟ قال نعم، ثمّ قال: قرأها ابن عباس بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في

(١) في الدر المنثور ٧: ١، قال: أخرج الثعلبي عن علي الحديث، وكنز العمال ١٩١: ٢، ٣٧٥.

(٢) مستدرک الحاكم وتلخيصه ١: ٥٥٠ - ٥٥١؛ وكنز العمال ١٩٢: ٢.

الركعتين معاً^(١).

د - عن نافع عن عبد الله بن عمر، كان يفتح أم الكتاب
بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٢)، وأنه كان إذا افتتح الصلاة
كَبَّرَ ثم قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله، فإذا فرغ قرأ
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قال وكان يقول لم كتبت في
المصحف إن لم تقرأ؟!^(٣).

هـ - عن محمد بن كعب القرظي، قال: فاتحة الكتاب سبع
آيات بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٤).

و - وقال البيهقي:

(ورويننا) الجهر بها عن فقهاء مكة، عطاء وطاوس

(١) مستدرک الحاكم وتلخيصه ٥٥١:١ وسنن البيهقي ٤٧:٢ - ٤٨. وباقي روايات ابن عباس، فقد أخرج الحاكم في باب فضائل القرآن من مستدرک الحاكم ٥٥٠:١ - ٥٥٢، سبعة منها. وقال السيوطي في الإتقان ٨٠:١ - ٨١: أخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح وفي الأم للشافعي ١٠٧:١.

(٢) سنن البيهقي ٤٨:٢، ٤٩.

(٣) سنن البيهقي ٤٤:٢؛ والدر المنثور ٧:١. وفي رواية أن العبادلة، أبناء عباس وعمر والزبير كانوا يجهرون بها.

(٤) في الدر المنثور ٨:١ عن أبي عبيد.

ومجاهد وسعيد بن جبير^(١).

ز - في مصنف عبدالرزاق، باب قراءة البسملة (... عن أبي وآخرين من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يقرأونها)^(٢). وقد أجمع أتباع مدرسة أهل البيت تبعاً لأئمتهم في ما يروون عن رسول الله ﷺ على أن البسملة آية من كل سورة. وأن قراءتها واجبة في الحمد والسورة في كل صلاة. ويجب الجهر بها في الجهرية^(٣).

وجوب الجهر بالبسملة في الصلاة

ألف - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: علّمني جبرائيل الصلاة فقام فكبر لنا ثم قرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيما يجهر به في كل ركعة^(٤).

(١) سنن البيهقي ٥٠:٢.

(٢) المصنف، كتاب الصلاة، باب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم)، ٩٠:١ - ٩١.

(٣) الخلاف للشيخ الطوسي ٣٢٨:١، جواهر الكلام ٢٩٦:٩. وقد مرّت الإشارة إلى مصادر روايات أهل البيت في ذلك في الهامش الثامن من الصفحة السادسة.

(٤) في الدر المنثور ٧:١، قال أخرجه الدارقطني، وعلى هذه الرواية يحمل

ب - عن عائشة، أنّ رسول الله ﷺ كان يجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(١).

ج - عن عليّ بن أبي طالب، قال: كان النبي ﷺ يجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في السورتين جميعاً^(٢).

د - عن أبي الطفيل، قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب وعمّاراً يقولان إنّ رسول الله ﷺ كان يجهر في المكتوبات ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في فاتحة الكتاب^(٣).

هـ - عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الصلاة، فترك الناس ذلك^(٤).

→ ما رواه الدارقطني عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ «أُمْنِي جبرائيل عليّ عند الكعبة فجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

(١) في الدر المنثور ٨:١، قال: أخرج الدارقطني عن عائشة. وفي الثانية عن عليّ.

(٢) في الدر المنثور ٨:١، قال: أخرج الدارقطني عن عائشة. وفي الثانية عن عليّ.

(٣) في الدر المنثور ٨:١، قال: أخرج البزاز والدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي الطفيل.

(٤) سنن البيهقي ٤٧:٢؛ وفي مستدرک الحاكم ٢٣٢:١؛ وفي الدر المنثور ٨:١ عنهما وعن الدارقطني، ولفظهم: الى... فترك الناس ذلك.

ز - عن أبي الطفيل قال: سمعت رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(١).

ح - عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٢).

ط - عن ابن عمر، قال صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يجهرون بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٣).

ي - عن محمد بن أبي السري العسقلاني، قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان مالا أحصي صلاة الصبح والمغرب، فكان يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قبل فاتحه الكتاب وبعدها. وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن أقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك: ما آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ^(٤).

(١) في الدر المنثور ٨:١، قال: أخرج الطبراني والدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان عن طريق أبي الطفيل...

(٢) مستدرک الحاكم ٢٣٣:١، وقال: رواة الحديث عن آخرهم ثقات، وأيده الذهبي في تلخيصه، ورواه في الدر المنثور عن الدارقطني أيضاً.

(٣) في الدر المنثور ٨:١، عن الدارقطني.

(٤) مستدرک الحاكم وتلخيصه ٢٣٤:١، وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأيده الذهبي.

ك - روى الحاكم عن أنس قال: صليتُ خلف النبي ﷺ وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف عليّ فكلّهم كانوا يجهرون بقراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. قال الحاكم: (إنّما ذكرت هذا الحديث شاهداً لما تقدمه، ففي هذه الأخبار التي ذكرناها معارضة لحديث قتادة الذي يرويه أئمتنا عنه، وقد بقي في الباب عن أمير المؤمنين عثمان) وذكر أسماء جمع من الصحابة ترك إيراد حديثهم وقال: (كلّها مخرجة عندي إثارةً للتخفيف...) (١). وبالإضافة إلى الروايات السابقة التي رويت عن صلّى

(١) مستدرک الحاكم ١: ٢٣٤، وكذب الخبر الذهبي في تلخيصه اعتباراً دون أن يذكر للحديث علّة من ضعف السند وما شابهه. وفي الباب عن الحكم بن عمير أو عمرو الثمالي، وكان بدرّياً، أنّه صلى خلف النبي ﷺ صلاة الليل والغداة والجمعة فأجهر بالبسملة. رواه عنه بترجمة الحكم في أسد الغابة ٢: ٣٧، وقال: (يعدّ في الشاميين، سكن حمص). ونقله السيوطي عن الدارقطني في الدر المنثور ١: ٨؛ ونقل الرواية - أيضاً - ابن حجر بترجمة موسى بن أبي حبيب في لسان الميزان ١١٥: ٦. وإنّما تركناه لأنّهم تكلموا في رواية موسى بن أبي حبيب. وكذلك تركنا حديث الصحابي بريدة في الدر المنثور ١: ٧، عن أبي حاتم والطبراني والدارقطني والبيهقي في سننه: (أنّ النبي ﷺ سأله عما يفتتح به من القرآن في الصلاة، فقال: بسم الله... فقال النبي ﷺ له: هي هي)، لأن السيوطي ضعف سنده.

خلف النبي ﷺ والخلفاء وأجهروا بالبسملة، في ما يأتي روايات عن صلي خلف بعض الخلفاء وآهم يجهرون بالبسملة:

١ - عمر بن الخطاب:

روى عبدالرحمن بن أبزي قال: صليت خلف عمر بن الخطاب فجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(١).

٢ - الإمام علي بن أبي طالب:

روى الشعبي قال: رأيت علي بن أبي طالب وصليت وراءه فسمعتة يجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. وفي تفسير الرازي بسنده أن الإمام علياً كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿بسم الله...﴾، وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص^(٢).

٣ - عبدالله بن الزبير:

روى الأزرق بن قيس وقال: صليت خلف ابن الزبير فقرأ فجهر ب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

(١) سنن البيهقي ٤٨:٢.

(٢) المصدر السابق ٤٩:٢؛ وفي تفسير الرازي ١٩٦:١.

قال البيهقي: وروينا عن أبي هريرة بإسناد صحيح عنه^(١).

ويتبع هذا الباب ما جاء في تفسير ابن كثير، قال: وروى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر بقراءته بالبسملة. وقال بعد أن فرغ إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم^(٢).

وروى الدارقطني في سننه عن يحيى بن حمزة قال: صلى بنا المهدي المغرب فجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن ابن عباس: إن النبي ﷺ جهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. قال: فقلت: نأثره عنك؟ قال: نعم^(٣).

(١) المصدر السابق ٤٩:٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١٦:١.

(٣) سنن الدارقطني ١: ٢٠٣ و ٢٠٤.

وإضافة الى ذلك روى البيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يستفتح القراءة بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الصلاة، يعني كان يجهر بها. قال: وله شواهد عن ابن عباس ذكرناها في الخلافيات^(١).

ويؤيد قول البيهقي (يستفتح القراءة... يعني كان يجهر بها)، ما رواه هو والذهبي عن ابن شهاب أنه قال: من سنة الصلاة أن يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ثم فاتحة الكتاب، ثم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ثم يقرأ سورة، فكان ابن شهاب يقرأ أحياناً بسورة مع فاتحة الكتاب يفتح كل سورة منها بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وكان يقول أول من قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حَيّاً^(٢).

(١) سنن البيهقي ٤٧:٢، وقال في كشف الظنون: ٧٢١.

وخلافيات البيهقي جمع فيه المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة.

ورواه الشافعي في الأم ١٠٧:١، الى قوله: يفتح القراءة.

(٢) سنن البيهقي ٥٠:٢ وتذكرة الحفاظ: ١١٠:١ والدر المنثور: ٨:١ وقول

ابن شهاب من سنة الصلاة، أي: من سنة رسول الله ﷺ في الصلاة.

فإن ابن شهاب لما قال: (يفتح كل سورة منها بـ «بسم الله...» وأول من قرأ بسم الله... سرّاً بالمدينة عمرو)، جعل (يفتح كل سورة) مقابل (قرأ سرّاً).

وبناءً على هذا، كل ما جاء في الحديث: يفتح أو يستفتح القراءة بالبسملة، يعني يقرأها جهرًا مثل الرواية الآتية:

عن بكر بن عبدالله قال: كان ابن الزبير يستفتح القراءة في الصلاة بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ويقول ما يمنعهم منها إلا الكبير^(١).

معاوية منشأ الخلاف في القضية

مع كل تلك الروايات الصحيحة والموثقة والصريحة بأن رسول الله ﷺ والخلفاء وجمع من الصحابة والتابعين أجهروا بقراءة البسملة في الصلاة وقالوا إنها جزء من الحمد، وأمروا بقراءتها الى زمن فقهاء الحرمين، نجد في كتب صحاح الحديث روايات تناقض الروايات المتواترة السابقة مثل رواية مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وأحمد في مسنده عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: صلّيت مع رسول

(١) سنن البيهقي ٤٩:٢.

الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(١).

ومثل ما رواه الثلاثة - أيضاً - :

عن أنس أنه قال: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها^(٢).

وما رواه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده عن يزيد بن عبد الله، قال: سمعني أبي وأنا أقول ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فقال أي بني إياك. قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها فلا تقلها. إذا أنت قرأت فقل: الحمد لله

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، الحديث رقم ٥٠ و ٥٢ وسنن النسائي، باب ترك الجهر بالبسملة من كتاب افتتاح الصلاة ١: ١٤٤ ومسنند أحمد ٣: ١٧٧ و ٢٧٣ و ٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، الحديث ٥٢ وسنن النسائي، كتاب افتتاح الصلاة الباب ٢٠ ومسنند أحمد ٣: ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٢٣ و ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٧٨ و ٢٨٦ و ٢٨٩.

رب العالمين^(١).

وعبدالله المذكور هو الصحابي عبدالله بن مغفل المزني سكن المدينة ثم بعثه عمر عاشر عشرة الى البصرة ليفقهوا الناس (ت: ٥٩ أو ٦٠ هـ) في البصرة أيام ولاية ابن زياد ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وابنه الراوي عنه مجهول الحال عندنا.

من الطبيعي أن يؤدي تناقض الروايات الآتية في شأن البسملة الى اختلاف مدرسة الخلفاء في وجوب قراءة البسملة أو عدمه، وفي الجهر بها أو عدمه. فقد قال الشافعي: إنها آية من أول سورة الفاتحة ويجب قراءتها معها.

وقال مالك والأوزاعي: إنها ليست من القرآن ولا تقرأ لا سرّاً ولا جهرّاً إلا في قيام شهر رمضان. وقال أبو حنيفة: تقرأ ويسرّ بها، ولم يقل: إنها آية من السورة أم لا. قال يعلى: سألت محمد ابن الحسن عن ﴿بسم الله...﴾ فقال ما بين الدفتين قرآن، قال: قلت فلم تسره - أي تقرأه سرّاً - قال فلم يجبني^(٢).

(١) راجع سنن الترمذي ٤٣:٢؛ ومسنّد أحمد ٨٥:٤؛ والمصنّف لعبد الرزاق ٨٨:٢

(٢) راجع أقوال العلماء المذكورين في بحوث من تفسير الرازي ١٩٤:١

وفي هذه الأحاديث التي رويت مناقضة لروايات وجوب قراءة البسملة علل تكشف عن عدم صحتها. وقد أفاض القول في دراية أحاديث البسملة كل من البيهقي في سننه والحاكم في مستدركه والرازي في تفسيره كل واحد منهم تحدث بأسلوبه الخاص به. وأشار إليها الذهبي في تلخيص المستدرک. وأقام الشافعي الدليل على ما اختاره في كتاب الأم.

وإذا بحثنا عن منشأ اختلاف الروايات في قراءة البسملة؛ أدركنا بعد دراسة بعض الملابسات التي حصلت في قراءتها أنس علل الروايات المناقضة للروايات المتواترة في وجوب قراءتها.

منشأ تناقض الروايات في البسملة

ألف - روى الشافعي في الأم والحاكم في المستدرک بسندين والبيهقي في سننه بثلاثة أسانيد، وتبعهم الرازي والسيوطي في تفسيرهما، عن أنس بن مالك واللفظ للحاكم:

→ وكتاب الأم للشافعي ١: ١٠٧ ومختصر المزني: ١٤؛ والعدة للصنعاني ٢: ٤١٠ والاتقان في علوم القرآن - طبعة بيروت ١: ٧٨-٧٩ والبيان للسيد الخوئي ط ٣ ص ٤٦٧ - ٤٦٨ و ٥٥٢؛ والمنتقى ١: ١٥١ وسبل السلام في شرح بلوغ المرام للكلاني ١: ١٧٢.

(أن أنس بن مالك قال: صَلَّى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لأم القرآن ولم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، فلما سلّم ناداه من سمعه ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان، يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صَلَّى بعد ذلك قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ للسورة التي بعد أم القرآن وكبر حين يهوي ساجداً. هذا حديث صحيح على شرط مسلم...).

قال الحاكم - أيضاً - وهو علة لحديث شعبة وغيره من قتادة على علوّ قدره، يدلّس ويأخذ عن كل أحد وإن كان قد أدخل في الصحيح حديث قتادة، فإنّ في ضده شواهد، أحدها ما ذكرناه، ومنها...، ثم ذكر الأحاديث التي رواها في قراءة البسملة والتي ذكرناها سابقاً. وقد أيد الذهبي قول الحاكم في قتادة وقال: (فإنّ قتادة يدلّس).

وقال الرازي بعد ذكر الحديث:

وهذا الخبر يدلّ على إجماع الصحابة رضي الله عنهم على أنّه من القرآن ومن الفاتحة وعلى أنّ الأولى الجهر بها^(١).

(١) الأم للشافعي ١: ١٠٨؛ ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي ١: ٢٣٣؛

ب - روى البيهقي بثلاثة أسانيد والشافعي بسنتين عن
عبدالله بن عثمان عن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعه
عن أبيه: أنَّ معاوية قدم المدينة فصلَّى بهم فلم يقرأ ب ﴿بسم
الله الرحمن الرحيم﴾ ولم يكبّر إذا خفض وإذا رفع، فناداه
المهاجرون حين سلم والأنصار: أن يا معاوية! أسرقت
صلاتك! أين ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟ وأين التكبير إذا
خفضت ورفعت؟ فصلَّى بهم صلاة أخرى فقال: فيها الذي
عابوا عليه^(١).

الصلاة التي لم يقرأ فيها معاوية البسملة

قال عبدالله بن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد: أنَّ
معاوية صلَّى بالمدينة للناس العتمة، فلم يقرأ ﴿بسم الله
الرحمن الرحيم﴾، فلما انصرف ناداه من سمع ذلك من
المهاجرين والأنصار، فقالوا: يا معاوية أسرقت الصلاة أم

→ وسنن البيهقي ٤٩:٢ - ٥٠؛ وتفسير الرازي ١٩٨:١ - ١٩٩؛ والدر المنثور
٨:١.

(١) سنن البيهقي ٤٩:٢ - ٥٠؛ والشافعي في الأم ١٠٨:١.

نسيت؟ أين ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾... الحديث^(١).
إنّ هذا الخبر يوضح لنا ما غمض من بعض الروايات
التي سبق إيرادها، منها قول ابن الزبير: (ما يمنعهم منها
إلاّ الكبر).

وقول ابن شهاب (أول من قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
سراً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حياً)^(٢).
لست أدري ممّ حياؤه في الجهر بالبسملة في الصلاة
الجهرية التي يقرأ فيها الحمد والسورة جهراً؟ لعلّه الحياء من
معاوية وعصبة الأمويين أن يجهر بها مع ما بدر من معاوية
من عدم قراءتها والحياء من المهاجرين والأنصار أن يترك
قراءتها.

ومنها قول ابن عباس كما نقله السيوطي في الإتيقان، قال:
أخرج ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من
طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان
من الناس أعظم آية من القرآن: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٣).

(١) المصنف لعبد الرزاق ٩٢:٢؛ وراجع كنز العمال ج ٤، الحديث ٤٤٩٤.
وعتمة الليل: ظلامه، ظلام أوله بعد زوال نور الشفق، يقصد أنه صلى
صلاة المغرب وهي جهرية فلم يقرأ بها بالبسملة.

(٢) تذكرة الحفاظ ١١٠:١ وحذف الذهبي جملة: (وكان رجلاً حياً).

(٣) الإتيقان ٨٠:١ وقال في الدر المنثور ٧:١ وأخرج سعيد بن منصور في

وفي لفظ البيهقي في السنن: أنَّ الشيطان استرق من أهل القرآن أعظم آية في القرآن^(١).

وقال يحيى بن جعدة: (قد اختلس الشيطان من الأئمة آية ﴿بسم الله...﴾^(٢).

وكان الزهري يفتتح بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ويقول آية من كتاب الله تعالى تركها الناس^(٣).

يقصدون من سرقة الشيطان البسملة واختلاسه إيّاها، ترك الناس إيّاها في الصلاة.

إذا جمعنا الروايات في البسملة وأخبارها، بعضها إلى بعض، نرى فيها مصداق قول ابن عباس كالاتي:

كان المسلمون في الحرمين الشريفين منذ عصر الرسول ﷺ حتى خلافة معاوية يقرأون البسملة مع السور، كما يكتبونها كذلك في المصاحف، وكان معاوية لا يقرأها مع السورة في الصلاة وهو خليفة المسلمين بالشام، فلما جاء

→ سننه وابن خزيمة في كتاب البسملة والبيهقي عن ابن عباس... الحديث.

(١) سنن البيهقي ٥٠:٢؛ وراجع قول مجاهد في مصنف عبدالرزاق ٩٢:٢.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٩١:٢.

(٣) وكان يقول: من سنة الصلاة أن يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم فاتحة الكتاب ثم «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم سورة. تذكرة

الحفاظ ١١٠:١ ومصنف عبدالرزاق ٩١:٢.

الى المدينة وأُمّ المهاجرين والأنصار بمسجد الرسول ﷺ تركها في الصلاة على عادته، فناداه من سمعه من المهاجرين والأنصار من كل مكان أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ البسملة للسورة وكان ذلك في المدينة، ويظهر من استعراض الأخبار أنه عاد الى تركها في صلاته بالشام وتبعه على ذلك الخلفاء من آل أمية من بعده.

ويقول ابن الزبير في وصف فعلهم: (ما يمنعهم إلا الكبر)، ويقول ابن عمر محتجاً عليهم (لم كتبت في المصحف إن لم تقرأ)؟!!

واستمر على قراءتها أهل الحرمين فلما ولي عمرو بن سعيد بن العاص الأموي والي الحرمين، كان أول من قرأها سرّاً في المدينة، راعى في قراءته كرامة معاوية من جانب ورأي المهاجرين والأنصار والتابعين من جانب آخر. ثم قويت شوكة الأمويين بعد قتل منافسهم ابن الزبير بمكة. ورويت بعض الأحاديث تأييداً لمعاوية وصوناً لكرامته.

واختلف المسلمون في مدرسة الخلفاء بعد ذلك، فمنهم من يقرأها، ومنهم من اتبع سنة معاوية وترك قراءتها سواء من كان منهم في الحرمين الشريفين أم في غيرها.

خلاصة البحث

وهكذا عرفنا أنّ البسملة آية وجزء من كل سورة، وإيرادها في الصلاة في أول الحمد والسورة واجب، وبنحو الجهر في الصلاة الجهرية، وعلى هذا جرت سيرة الرسول ﷺ والصحابة، وإن منشأ الخلاف في هذه المسألة هو معاوية بن أبي سفيان حينما كان يصلي في الشام بلا بسملة، وقد صلى في المدينة أيضاً ذات مرة بلا بسملة فأنكر عليه المسلمون بقولهم: أسرقت الصلاة أم نسيت؟ وإنكارهم هذا خير دليل على ثبوت سيرة المسلمين في الصدر الأول على جزئية البسملة بلا ريب ولا تردد، وأنّ معاوية هو منشأ الخلاف فيه.

الفهرس

٧	كلمة المجمع العالمي لأهل البيت <small>عليه السلام</small>
١١	جزئية البسملة من القرآن وحكمها في الصلاة
١٢	البسملة آية من كل سورة
١٤	أدلة جزئية البسملة للقرآن
	تواتر القول بجزئية البسملة من السورة في مدرسة
٢٥	الخلفاء
٢٧	أدلة نفاة جزئية البسملة وردودها
٣١	وجوب قراءة البسملة في الصلاة
٣٨	وجوب الجهر بالبسملة في الصلاة
٤٥	معاوية منشأ الخلاف في القضية
٤٨	منشأ تناقض الروايات في البسملة
٥٠	الصلاة التي لم يقرأ فيها معاوية البسملة
٥٤	خلاصة البحث
٥٥	الفهرس